المفاضلة بين البشر من خلال نصوص القرآن والسّنّة

Distinguishing between human beings through the texts of the qur'an and sunnah

عبد القادر حكيمي[1]

[1] كلية العلوم الاسلامية, جامعة وهران 1(الجزائر) salim_hakimi@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/07/10 تاريخ القبول:2020/10/07 تاريخ النشر: ديسمبر/2020

الملخّص

إنّ خطأَ الإنسان في المفاضلة بين البشر يكون سببًا في ضلاله وانحراف عقيدته، ومن هنا وجَبَ على المسلم أن يتعرّف على الحقّ في مباحث المفاضلة بين النّاس، لأنّ ذلك بابٌ عظيم من أبواب نشر الخير والدّعوة إليه، وتصحيحِ العقائد، ولا يمكن القولُ بتفضيل أحد من البشر على غيره إلاّ بالتّمسُّك بما دلّ عليه القرآن وسنّةُ النبي ﷺ وما أجمع عليه أهلُ العلم.

وقد تناولتُ في هذا البحث: المفاضلةَ بين البشر باعتبار النّبوّة، والمفاضلةَ بين البشر بحسب الأُمَّة والقَرْن والجنْس، والمفاضلة بين البشر بالنّظر إلى طاعاتهم، وتوصّلت إلى جملة من النتائج، منها أنّ إناث هذه الأمّة متفاضلات، وأفضلهنّ على الإطلاق **خديجةُ وعائشةُ وفاطمةُ** رضي الله عنهنّ، ومنها أنّ جنسَ الذّكور فُضِّلُوا على جنس الإناث بكونهم خُصُّوا بالنُّبوّة وزيادة العقل والدِّين وغيرها ممّا ليس للنساء مثلُه.

وقد اختلف أهل العلم في المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر إن كانا يقومان بحقوق الله في الحالتين، والصواب تفضيلُ أتقاهما لله عزّ وجلّ، كما أنّ المطيع الذي لم يرتكب المعاصي أفضلُ من العاصي التّائب، لأنّ الذي لم يعصِ أطوعُ لله تعالى بامتثال الأوامر واجتناب المنهيات.

الكلمات المفتاحية: التفاضل، الأنبياء، الصحابة، المؤمنون.

Abstract

Man's mistake in the distinction between humans is a cause of mistaken faith and deviation from its belief. Therefore, a Muslim must recognize the right of making compromises between people, since it is a great way to disseminate wealth and correct beliefs, we cannot claim that one of the human beings is preferred to the others except by adhering to the Koran and Sunna of the Prophet Muhammad (may the peace and blessings of Allah be upon him), and what is unanimously accepted by the knowers.

I have been dealing in this research; the distinction between humans according to the prophecy, and the distinction between people according to nation and century and sex, and also according to their obedience. Thereby, I have achieved the following results; among of them, are that the women of this nation are differentiated, and the greatest of all are Khadija, Aisha and Fatima could Allah be satisfied of them. Concerning the sex distinction, men are favoured than women, as they were distinguished by prophecy and they also have reason and religion, and others than women don't have them either.

Moreover, scientists differed in the distinction between the rich thankful and the needy patient, especially if they gave Allah's rights in both cases, and the most correct is to prefer their attachment to Almighty Allah.

Otherwise, the obedient man who has not committed any sin, is better than the repentant sinner, because those who have not disobeyed Allah, are more obedient to Allah and avoid more abstinence.

المؤلف المرسل : عبد القادر حكيمي, الإيميل: salim_hakimi@hotmail.com

مقدّمة

الحمد لله والصلاةُ والسلامُ على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛

فهذا بحثٌ يتضمّن تقريرَ سُنّةِ الاختيار والاصطفاءِ الواردةِ في قول الله عزّ وجلّ:(وربّك يخلق ما يشاء ويختار) (القصص:68)، وقوله سبحانه وتعالى:(الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النّاس) (الحجّ:75)، فقد خلَقَ الله تعالى الخلقَ واختار من كلّ نوع أفضلَه، والمفاضلة بين البشر عنده سبحانه وتعالى هي بمقدار تفاوتهم في التقوى، ويدلّ على ذلك قولُ الله تعالى: (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات:13)، وقوله ﷺ: (إنّ الله لا ينظر إلى صُوَركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[1]، وقد قيل للنبي ﷺ : من أكرمُ النّاس ؟ قال: (أتقاهم)[2].

ولا يخفى أنّ المفاضلة بين البشر زلّت فيها أقدام، وغلا فيها أقوام، وزاغت فيها عقائدُ فئام، كأولئك الذين فضّلوا أئمّتَهم على أنبياء الله تعالى وفضّلوا عليّ بن أبي طالب ﷺ على سائر الصحابة، وطعنوا في أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأخّروها عن المكانة السَّنيّة التي أشارت إليها آيات القرآن وشهِد بها النبيُّ عليه الصلاة والسلام، وآخرين سوّوا بين أنبياء الله وفسّاق المؤمنين في الإيمان.

ولأنّ تمحيص الحقّ في مباحث المفاضلة بين البشر بابٌ عظيم من أبواب نشر الخير والدّعوة إليه، وتصحيحِ العقائد، ومحْوِ سيِّئها من الصّدور، ولا يتأتّى ذلك إلاّ بالتّمسُّك بدلالات نصوص كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وما أجمع عليه أهلُ العلم، جاء موضوعُ البحث منتظمًا بعد هذه المقدّمة في أربعة مباحث وخاتمة، وهذا بيانها:

المبحث الأول : المفاضلة بين البشر باعتبار النّبوّة، ويتضمّن المطالب الآتية :

المطلب الأول: تفضيل الأنبياء على سائر البشر : خلق الله تعالى بني آدم واصطفى منهم الأنبياء، ويدلّ على ذلك القرآنُ والسُّنّةُ والإجماعُ.

فمن أدلّة القرآن قولُ الله تعالى مبيِّنًا طبقاتِ المؤمنين المنعَمِ عليهم : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النّبـــيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) (النّساء: 69).

وجه الدّلالة أنّ الله تعالى جَعَل العبادَ المنعَمَ عليهم طبقاتٍ أربع وبدَأ بأعلاها، وهي طبقةُ النّبوّة[3].

ويدلّ على تفضيل الأنبياء على سائر البشر قولُ الله جلّ جلاله: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إنّ ربك حكيم عليم. ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاّ هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريّته داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريّا ويحيى وعيسى وإلياس كلّ من الصالحين. وإسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلاّ فضّلنا على العالمين) (الأنعام:83-86).

وجه الدّلالة أنّ الله عزّ وجلّ أخبر عن تفضيل الأنبياء والمرسلين على العالمين، لأنّ طبقات المؤمنين أربع كما سبق قريبًا، والأنبياءُ من الطبقة العليا[4].

واستُدِلّ على تفضيل الأنبياء على سائر النّاس[5] بحديث أبي الدرداء ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: (ما طلَعت الشمسُ ولا غَرَبت على أحد أفضل وأخْيَر من أبي بكر، إلاّ أن يكون نبيٌّ)[6].

ففي الحديث تفضيلُ أبي بكر الصدّيق ﷺ على كافّة البشر، واستثناءُ الأنبياء يدلّ على أنّهم أفضلُ النّاس وأخْيَرُهم على الإطلاق.

ومثلُه قولُ النبي ﷺ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : (هذان سيّدا كهول أهل الجنة من الأوّلين والآخرين، إلاّ النّبيين والمرسلين)[7].

ويُستفادُ من الحديث أنّ الأنبياء أفضل الأوّلين والآخرين، وأنّ كلّ مَنْ سِوى الأنبياء دونَهم[8].

ونقَل ابنُ تيمية اتّفاقَ الأمّة على تفضيل الأنبياء على غيرهم من البشر، فقال : "الأنبياءُ أفضلُ الخلق باتّفاق المسلمين، وبعدهم الصدِّيقون والشهداء والصالحون"[9]، وقال: "اتّفق سلفُ الأمّة وأئمّتُها وسائرُ أولياء الله تعالى على أنّ الأنبياء أفضلُ من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء"[10].

المطلب الثاني : تفاضُل الرُّسُل والأنبياء:

أخبرنا الله عزّ وجلّ أنّه فضّل بعضَ الرُّسُل على بعض فقال تعالى: (تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات) (البقرة:253).

ومن الآيات الدّالّة على تفضيل الله تعالى بعض النّبيين على بعضٍ قولُه عزّ وجلّ : (ولقد فضّلنا بعض النّبيين على بعض وآتينا داود زبورا) (الإسراء:55).

ودلّت السُّنّة على وقوع التفاضل بين الأنبياء، ففي حديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: (فُضّلتُ على الأنبياء بستّ: أُعطيتُ جوامع الكلِم، ونُصرتُ بالرُّعب، وأُحِلّت لي الغنائم، وجُعِلت لي الأرضُ طَهورًا ومسجدًا، وأُرسِلتُ إلى الخلق كافّة، وخُتِم بي النّبيّون)[11].

ومن وجوه التفاضُل بين الأنبياء إعطاءُ بعضهم خيرًا لم يُعطَه غيرُه، كخلق الله تعالى آدمَ عليه السلام بيده ونفْخِه فيه من روحه، وأمْرِ الملائكة بالسّجود له، وتكليمِ موسى عليه السلام، وتأييدِ بعضهم بالملائكة، قال الله تعالى: (يا موسى إني اصطفيتك على النّاس برسالاتي وبكلامي) (الأعراف:144)، وقال الله عزّ وجلّ: (وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس) (البقرة:87).

قال القاضي عياض: "قال بعضُ أهل العلم: والتفضيلُ المراد لهم هنا في الدّنيا وذلك بثلاثة أحوال: أن تكون آياتُه ومعجزاتُه أبْهرَ وأشهرَ،أو تكونَ أمّتُه أزكى وأكثر،أو يكون في ذاته أفضلَ وأظهرَ،وفضلُه في ذاته راجعٌ إلى ما خصَّه الله به من كرامته واختصاصِه من كلام أو خُلّة أو رُؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتُحَف ولايته واختصاصه"[12].

وقد اتّفق المسلمون على أنّ الرّسل أفضل من الأنبياء، قال ابن كثير :"لا خلاف أنّ الرُّسل أفضلُ من بقيّة الأنبياء، وأنّ أولي العزم منهم أفضلُهم، وهم الخمسةُ المذكورون نصا في قوله تعالى: (وإذ أخذنا من النّبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) (الأحزاب:7)"[13].

المطلب الثالث : فضل رسول الله محمّد ﷺ:

لا خلافَ أنّ محمّدًا ﷺ أفضلُ الأوّلين والآخرين، وأشرفُ الأنبياء والمرسلين،وسيّد ولد آدم أجمعين،فقد خصَّه الله تعالى بسِتٍّ لم يُعطَها أحدٌ من الأنبياء كما سبق.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (أنا سيِّدُ ولد آدم يوم القيامة، وأوّلُ مَن ينشقّ عنه القبر، وأوّل شافع، وأوّل مُشَفَّع)[14]، وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخْر، وبيَدي لواءُ الحمد ولا فخْر، وما من نبيّ يومئذ؛ آدمُ فمَن سواه إلاّ تحت لوائي، وأنا أوّل مَن تنشقّ عنه الأرضُ ولا فخر)[15].

وجديرٌ بالذّكر في هذا المقام أنّه ورد عن النبي ﷺ النّهيُ عن تفضيله على موسى أو يونس بن متّى عليهما السلام، فعن أبي هريرة ﷺ قال: بينما يهوديّ يَعرض سلعته، أُعطِي بها شيئًا كرِهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجلٌ من الأنصار فقام فلَطَم وجهه وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا ؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إنّ لي ذمَّةً وعهدًا، فما بال فلانٍ لَطَم وجهي؟ فقال: لم لطَمتَ وجهه؟ فذكرَه، فغضب النبي ﷺ حتى رُئِيَ في وجهه، ثم قال: (لا تُفضّلوا بين أنبياء الله، فإنّه يُنفخ في الصّور فيَصعق مَن في السموات ومَن في الأرض، إلا مَن شاء الله، ثمّ يُنفخ فيه أخرى فأكون أوّل مَن بُعِث، فإذا موسى آخِذٌ بالعرش، فلا أدري أحُوسِب بصعقته يوم الطّور، أم بُعِث قبلي، ولا أقول: إنّ أحدًا أفضل من يونس بن متّى)[16]، وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متّى)[17]، وقد حَمَل أهل العلم النّهي عن المفاضلة بين الأنبياء على أنّه ﷺ قاله على سبيل الهضم والتواضع، أو قصَد إطلاقَ التفضيل على وجه العصبيّة والفخْر والحميّة وهوى النّفس، أو على وجه الانتقاص للمفضول، أو من يقول برأيه لا مَن يقوله بدليل، أو المراد: لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة[18].

المبحث الثاني : فضل الصحابة وتفاضلُهم، ويشتمل على ما يلي :

المطلب الأول : الصحابة أفضلُ بني آدم بعد الرُّسل والأنبياء:

دلّ القرآنُ الكريمُ والسُّنّة النّبويّة على أنّ الصحابة رضي الله عنهم خيرُ البشر بعد الرُّسُل والأنبياء، لا كان ولا يكون مثلُهم.

فمن القرآن قولُ الله تبارك وتعالى: (كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس) (آل عمران: 110)، ووجه دلالة الآية على تفضيل الصحابة ﷺ على غيرهم إثباتُ الخيريّة المطلقة لهذه الأمّة على سائر الأمم، ولفظُ الأمّة في الآية وإنْ كان عاما فالصحابةُ يدخلون فيه دخولاً أوّليا؛ لأنّهم المخاطبون بالآية مباشرة عند النّزول، وقيل: هو وارد في الصحابة دون غيرهم[19].

وأطْنَب رسول الله ﷺ في تزكية الصحابة والثناء عليهم، ومن الأخبار المستفيضة عنه في هذا المعنى حديث معاوية بن حيدة ﷺ أنّه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: (كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس) (آل عمران: 110)، قال: (إنّكم تُتِمُّون سبعين أمّة، أنتم خيرُها وأكرمُها على الله)[20]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجلٌ النبي ﷺ: أيُّ النّاس خير؟ قال: (القرنُ الذي أنا فيه، ثمّ الثاني، ثمّ الثالث)[21]، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (خيرُ النّاس قرني، ثمّ الذين يَلونهم، ثمّ الذين يَلونهم)[22].

ففي الحديثين تفضيل قرن النبي ﷺ على جميع بني آدم، "والصحيحُ أنّ قرنَه ﷺ الصحابةُ، والثاني التابعون، والثالث تابِعوهم"[23]، وعليه فقوله: (خير الناس) يدلّ على أنّ صحابته ﷺ أفضلُ من الحواريين أنصارِ عيسى، وأفضلُ من النّقباء السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام[24].

المطلب الثاني : تفاضل الصحابة:

أصحابُ النبي ﷺ متفاوتون في الفضل، وقد"اتّفق أهلُ السنّة على أنّ أفضلهم أبو بكر ثمّ عُمر ،وقال جمهورهم:ثمّ عثمان،ثمّ عليّ"[25]،ويدلُّ على ذلك قولُ محمّد بن الحنفيّة: قلتُ لأبي ـ يعني عليا ﷺ ـ:أيُّ النّاس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال:(أبو بكر)، قلتُ:ثمّ مَنْ؟ قال: (ثمّ عُمَر)، وخشيتُ أن يقول عثمان، قلتُ: ثم أنت ؟ قال: (ما أنا إلاّ رجلٌ من المسلمين)[26]، وعن ابن عمر قال: (كنّا نُخيِّر بين النّاس في زمن النبي ﷺ فنخيِّر أبا بكر،ثمّ عمر بن الخطاب،ثمّ عثمان بن عفان ﷺ)[27]، وفي رواية: (كنّا نقول ورسولُ الله ﷺ حيّ: أفضلُ أمّة النبي ﷺ بعدَه أبو بكر ثمّ عُمَر ثم عثمان ﷺ)[28].

فالشهادةُ التي نقلَها ابن عُمر ﷺ عن الصحابة ــ ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ـ تدلّ على أنّ أفضل أفراد الصحابة الخلفاءُ الرّاشدون الأربعةُ على ترتيبهم، أبو بكر ثمّ عُمر ثمّ عثمان ثمّ عليّ ﷺ.

وقد حصل نزاعٌ بين السلف في المفاضلة بين عثمان وعليّ رضي الله عنهما، وعامّة أهل السنّة على تفضيل عثمان وتقديمه على عليّ رضي الله عنهما[29]، ويدُلّ على صحّة ما ذهبوا إليه قول عبد الله بن عمر ﷺ ـ وقد سبق ـ: (كنا نخيِّر بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخيِّر أبا بكر، ثمّ عمر بن الخطاب، ثمّ عثمان بن عفان ﷺ).

ومن أدلّة القائلين بتقديم عثمان على عليّ رضي الله عنهما ما ثبت أنّ عبد الرحمن بن عوف ﷺ

لما استشار النّاس في عثمان وعليّ بعد مقتل عمر ﷺ، خطب النّاس وقال: (أمّا بعدُ، يا عليُّ إنّي قد نظرتُ في أمر النّاس،فلم أرَهم يَعدِلون بعثمان،فلا تَجعلنّ على نفسك سبيلاً)،فقال: أبايعك على سنّة الله ورسوله ، والخليفتين من بعده ، فبايَعه عبدُ الرحمن، وبايَعه النّاسُ المهاجرون والأنصارُ، وأُمراءُ الأجناد والمسلمون[30].

قال ابن تيمية: "فبايعَه عليٌّ وعبدُ الرحمن وسائرُ المسلمين بيعةَ رِضى واختيار، من غير رغبة أعطاهم إيّاها، ولا رهبة خوّفهم بها، وهذا إجماعٌ منهم على تقديم عثمانَ على عليّ"[31].

وقال ابن حجر: "الإجماعُ انعقد بآخرة بين أهل السنّة أنّ ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة"[32].

ودلّت نصوصُ القرآن والسّنّة على تفاضُل الصحابة باعتبار جماعاتهم، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ أفضل الصحابة بعد الأربعة بقية العشرة المبشرين بالجنّة في حديث واحد، وهم المذكورون في حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: (أبو بكر في الجنّة، وعُمَر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعليّ في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزُّبير في الجنّة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنّة، وسعد بن أبي وقاص في الجنّة، وسعيد بن زيد في الجنّة، وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنّة)[33].

ثمّ من بعد العشرة أهل بدر، لحديث رفاعة ﷺ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدُّون أهلَ بدر فيكم؟ قال:(من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ)، قال: وكذلك من شهِد بدراً من الملائكة[34]، وعن عليّ ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: (لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنّة ـ أو فقد غفرتُ لكم ـ)[35]، وفي حديث أبي هريرة ﷺ: (إنّ الله عزّ وجلّ اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم)[36].

ثم أهل غزوة أحُد، ثم أهل بيعة الرضوان[37] الذين قال الله فيهم: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) (الفتح:18)، وقال فيهم النبي ﷺ: (لا يَدخُل النّار ـ إنْ شاء الله ـ من أصحاب الشجرة أحدٌ، الذين بايعوا تحتها)[38]، وعن جابر ﷺ قال: قال لنا رسولُ الله ﷺ يوم الحديبية: (أنتم خيرُ أهل الأرض)، وكنّا ألفًا وأربَعَمائة، ولو كنتُ أُبصر اليومَ لأريتُكم مكان الشجرة[39].

المطلب الثالث : تفاضل الصحابيات:

إناثُ أمّة محمّد ﷺ متفاضلات، وقد دلّ قول الله تعالى: (يا نساء النبي لستنّ كأحد من النّساء إن اتّقيتنّ) (الأحزاب:32) على فضل أزواج النبي ﷺ، وأنّهنّ أفضلُ من غيرهنّ إن اتّقين، وخُصَّت فاطمة رضي الله عنها من عموم الآية بحديث سيرِدُ عند بيان وجه تفضيلها عند القائلين به.

وأفضلُ نساء هذه الأمّة على الإطلاق خديجةُ وعائشةُ وفاطمةُ رضي الله عنهنّ[40]، لثُبوت نصوص كثيرة في فضلهنّ، ولم يرِد نصٌّ قطعيُّ الدّلالة بترتيبهنّ في الفضل، وتنازع العلماء في أيّتهنّ أفضل على أقوال:

القول الأول: ذهب بعضهم إلى تفضيل خديجة رضي الله عنها[41]، ومن أقوى أدلّتهم ما يأتي :

1 ـ عن عليّ ﷺ عن النبي ﷺ قال: (خيرُ نسائها مريمُ بنتُ عمرانَ، وخيرُ نسائها خديجةُ بنتُ خُويلد)[42].

وقد نقَل ابنُ حجر عن ابن العربي قولَه: "خديجة أفضلُ نساء الأمّة مطلقًا لهذا الحديث"[43].

وأجيب عن الحديث بأنّ معناه أنّ كلّ واحدة منهما خير نساء الأرض في زمانها كما جزم كثيرٌ من الشرّاح، وأمّا التفضيلُ بينهنّ فمسكوتٌ عنه[44]، ويحتمل أن لا تكون عائشةُ دخلتْ في ذلك لأنّها كان لها عند موت خديجة ثلاثُ سنين، فلعلّ المراد النّساءُ البوالغُ[45].

2 ـ عن عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال في خديجة رضي الله عنها: (ما أبْدَلني الله عزّ وجلّ خيرًا منها، قد آمنتْ بي إذْ كفَر بي النّاسُ، وصدَّقتْني إذْ كذّبني النّاس، وواستْني بمالها إذْ حرَمني النّاس، ورزقني الله عزّ وجلّ ولدَها إذْ حرَمني أولادَ النّساء)[46].

وجه دلالة الحديث على تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنهما تقدُّمُ إسلام خديجة، وتصديقُها رسولَ الله ﷺ في أوّل البعثة، وبذلُها مالَها في سبيل نصرة الدّين، وكونُ ولده ﷺ جميعهم ـ إلاّ إبراهيم ـ منها[47]، وتفرُّدُها بهذه الصفات جعلها تتبوّأ ذروةَ الكمال الأنثوي في هذه الأمّة.

وأُجيب عنه بأنّ قوله ﷺ: (ما أبْدَلني الله عزّ وجلّ خيرًا منها) لا يدلّ على تفضيل خديجة على عائشة بإطلاق، وهو محمولٌ على "أنّ خديجة نفعته في أوّل الإسلام نفعاً لم يقم غيرُها فيه مقامَها، فكانت خيراً له من هذا الوجه، لكونها نفعته وقت الحاجة، لكن عائشة صحِبتْه في آخر النّبوّة وكمال الدِّين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصُل لمن لم يدرك إلاّ أوّلَ زمن النبوّة، فكانت أفضلَ بهذه الزيادة، فإنّ الأمّة انتفعت بها أكثر ممّا انتفعت بغيرها، وبلغت من العلم والسّنّة ما لم يبلغه غيرها"[48].

3 ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: (أتى جبريلُ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجةُ قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتْك فاقرأ عليها السلام من ربّها ومنّي، وبشِّرْها ببيت في الجنّة من قَصَب، لا صخَب فيه ولا نَصَب)[49].

ووجه دلالته على فضل خديجة إقراؤُها السّلام من الله عزّ وجلّ ومن جبريل، وأمّا عائشة فأُقرِئتْ سلامَ جبريل فقط[50]، كما في حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: (يا عائشُ، هذا جبريلُ يُقرِئك السلام)، فقلتُ: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرَى، تريدُ رسولَ الله ﷺ[51].

ويُجاب عنه بأنّه يُثبِتُ لخديجة رضي الله عنها فضيلةً لا تُشاركها فيها غيرُها، وقد ثبتَ لعائشة وفاطمة رضي الله عنهما من الفضائل ما لم يثبُت لخديجة رضي الله عنها، فلا يلزم منه التفضيل عليهما.

القول الثاني: ذهب كثيرٌ من أهل السُّنّة إلى أنّ عائشة رضي الله عنها أفضل نسائه ﷺ، وأجمعوا على أنّ نساءه أمّهات المؤمنين اللاّتي مات عنهنّ كانت عائشة أحبّهنّ إليه، وأعلمهنّ، وأعظمهنّ حُرمة عند المسلمين[52]، واحتجّوا بأدلّة؛ منها:

1 ـ عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كمُلَ مِن الرّجال كثيرٌ، ولم يكمُل من النّساء إلاّ آسيةُ امرأةُ فرعون، ومريمُ بنتُ عِمران، وإنّ فضل عائشة على النّساء كفضل الثَّرِيد[53] على سائر الطعام)[54].

واختلف أهل العلم في الألف واللاّم من لفظة "النّساء" الواردة في الحديث، هل تدُلّ على العموم، فتكون عائشة مفضّلة على جميع النساء؟ أم هي من العامّ المخصوص بأزواج النبي ﷺ كلِّهنّ، أو بعد خديجة؟

وظاهر الإطلاق أنّ عائشة رضي الله عنها أفضلُ من جميع النّساء، من حيث الجامعيّةُ للكمالات العلميّة والعمليّة، المعبَّر عنهما في التشبيه بالثّريد، فإنّما يُضرَب المثل بالثَّريد لأنّه أفضلُ طعام العرب، وأنّه مركّب من الخبز واللّحم والمرَقة، ولا نظيرَ لها في الأغذية[55].

وأُجيب عن قوله ﷺ : (وإنّ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) بأنّ "فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لِما فيه من تيسير المؤنَة وسهولة الإساغة، وكان أجلَّ أطعمتِهم يومئذٍ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة، فقد يكون مفضولًا بالنسبة لغيره من جهات أخرى"[56].

وأشار بعضهم إلى أنّ أفضليّة عائشة رضي الله عنها التي دلّ عليها الحديث مقيَّدةٌ بنساء النبي ﷺ اللاّتي على قيد الحياة، فلا تدخُل فيها خديجة وفاطمة رضي الله عنهما[57]، جمعًا بين هذا الحديث وحديث ابن عبّاس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أفضل نساء أهل الجنّة: خديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمة بنتُ محمّد، وآسيةُ بنتُ مُزاحم امرأةُ فرعون، ومريمُ ابنةُ عِمران)[58].

2 ـ عن عمرو بن العاص ﷺ أنّ رسول الله ﷺ بعَثه على جيش ذات السُّلاسل، قال: فأتيتُه فقلتُ: أيُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال: (عائشةُ)، قلتُ: من الرّجال ؟ قال: (أبوها)[59].

وجه الدّلالة من الحديث أنّ النبي ﷺ أحبَّ عائشة رضي الله عنها أكثر من غيرها، فدلّ ذلك على أنّ عائشة رضي الله عنها أفضلُ امرأة من أمّته[60].

وأُجيب عنه بأنّ دلالته على تفضيل عائشة على خديجة هي محلّ توقّف، لما يبدو أنّ عمرو بن العاص أراد بسؤاله نساءَه اللاّتي على قيد الحياة، ثمّ هو مقيَّد بالنّصّ الوارد في فاطمة رضي الله عنها.

القول الثالث : ذهب جماعة من العلماء إلى أنّ فاطمة بنت النبيِّ ﷺ أفضل، ومن أدلّتهم :

1 ـ عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: (ألا ترضَيْنَ أن تكوني سيِّدةَ نساء المؤمنين، أو سيّدةَ نساء هذه الأمَّة) ، وفي لفظ: (سيّدة نساء أهل الجنة)[61].

وجه الدلالة أنّ النبي ﷺ بَشَّر فاطمة رضي الله عنها بأنّها أفضلُ نساء الأمّة، وسيِّدةُ نساء أهل الجنّة، وظاهره يدلّ على أنّ فاطمة رضي الله عنها أفضلُ النـّساء مطلَقًا حتى من خديجــة وعائشة ومريم وآسية[62].

وأُجيب عنه بأنّ عدمَ ذكر عائشة رضي الله عنها مع سيِّدة أهل الدّنيا وأهل الجنّة لا يقدح في عُلُوِّ مرتبتها، لثبوت مناقبها وفضائلها في أحاديث أخرى.

2 ـ عن أنس ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: (حسبُكَ من نساء العالمين مريمُ ابنةُ عمران، وخديجةُ بنت خويلد، وفاطمةُ بنتُ محمّد، وآسية امرأة فرعون)[63].

وجه دلالة الحديث على أفضليّة فاطمة رضي الله عنها أنّ فيه التنصيص عليها مع مريم وآسية وخديجة في معرض ذكر فُضْليات النّساء، ففاطمة رضي الله عنها شاركت أمَّها خديجة رضي الله عنها في كونهما من أفضل نساء العالمين.

وأجيب عنه باحتمال ورود التنصيص على المذكورات قبل حصول كمال عائشة رضي الله عنها ووصولها إلى أعلى المراتب[64].

القول الرابع : مال بعضُ أهل العلم إلى التوقّف في المفاضلة بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما، وبين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما، فيُثبَتُ الفضلُ لكلّ واحدة منهنّ على نحو ما ورد في النّصوص من غير تعرُّض للمفاضلة بينهنّ، وسببُ ذلك كونُ جِهات الفضل بينهنّ متقاربة، والنّصوص الواردة ليس فيها تصريح بالتفضيل.

قال تقي الدين السُّبكي: "وقد قال المتولي من أصحابنا : تكلّم النّاس في عائشة وفاطمة، أيهما أفضل ؟ والأولى للعاقل أن لا يشتغل بمثل ذلك ... والكلام في التفضيل صعب، ولا ينبغي التكلّم إلاّ بما ورد، والسكوت عمّا سواه وحفظ الأدب، رضي الله عن الجميع، ورزقنا محبّتَهم ونفعنا بهم"[65].

وقال ابن كثير عند ذكر التفاضل بين خديجة وعائشة: "والحقُّ أنّ كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر النّاظرُ فيه لَبَهَرَه وحَيَّره، والأحسنُ التوقُّفُ في ذلك، وردُّ عِلْم ذلك إلى الله عزّ وجلّ، ومَنْ ظهر له دليلٌ يقطع به، أو يغلب على ظنّه في هذا الباب، فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم، ومَنْ حَصـــل له توقُّفٌ في هذه المســـألة أو في غيرها، فالـــطريقُ الأقومُ والمـــسلكُ الأسلمُ أن يقـــول: الله أعلم"[66].

القول الخامس : ذهب بعض العلماء إلى القول بالتفصيل، بحيث أنّ لكل منهنّ مزايا لم تلحقها الأخرى فيها، ومن أحسن ما ذُكِر في هذا التفصيل قولُ ابن القيّم في المفاضلة بين عائشة وفاطمة: "الخلافُ في كون عائشة أفضل من فاطمة، أو فاطمة أفضل: إذا حُرِّر محلّ التّفضيل صار وفاقًا، فالتفضيل بدون التّفصيل لا يستقيم. فإن أريد بالفضل كثرةُ الثّواب عند الله عزّ وجلّ، فذلك أمر لا يُطَّلَع عليه إلاّ بالنّصّ ... وإن أريد بالتفضيل التفضُّل بالعلم فلا ريب أنّ عائشة أعلم وأنفع للأمّة وأدّت إلى الأمّة من العلم ما لم يؤدّ غيرها واحتاج إليها خاصُّ الأمة وعامّتها، وإن أريد بالتفضيل شرفُ الأصل وجلالةُ النَّسَب فلا ريب أنّ فاطمة أفضل، فإنّها بَضعة من النبيّ ﷺ، وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير إخوتها، وإن أريد السيادةُ ففاطمةُ سيّدةُ نساء الأمّة، وإذا ثبتت وجوهُ التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل، وأكثر النّاس إذا تكلّم في التفضـــيل لم يفصّل جهات الفضـــل ولم يوازن بينهما فيبخس الحقّ"[67].

وقال ابن تيمية في جوابه عن سؤال يـــتعلّق بالمفاضلة بين خديجة وعائشة: " سَبْق خديجة وتأثيرها في أوّل الإسلام ونصرها وقيامها في الدّين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمّهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدّين وتبليغه إلى الأمّة وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به غيرُها. فتأمّل هذا الجواب الذي لو جئت بغيره من التفضيل مطلقًا لم تخلُص من المعارضة"[68].

الترجيح: القولُ بنسبة الفضل إليهنّ جميعا مع التفصيل هو أعدل الأقوال وأصوبها، فلا تُفَضَّلُ إحداهما على الأخرى تفضيلاً مطلقاً، فلا مثيلةَ لخديجة رضي الله عنها في تأثيرها في أوّل الإسلام، وتثبيتها ونُصرَتها للرسول ﷺ في أعظم أوقات الحاجة، ولا نظيرةَ لعائشة رضي الله عنها في تأثيرها في آخر النبوّة

وكمال الدِّين، من التَفقُّه في الدّين، وتبليغه إلى الأمّة التي انتفعت بها أيَّما انتفاع، وخُصَّت فاطمةُ رضي الله عنها ببشارة النبي ﷺ لها بأنّها سيّدة نساء الأمّة ونساءِ أهل الجنّة، بالإضـــافة إلى شرَف أصلها، وجلالة نَسَبها.

المبحث الثالث: المفاضلة بين البشر بحسب الأمّة والقرن والجنس، ويتضمّن المطالب الآتية:

المطلب الأول : تفضيل أمّة محمّد ﷺ على سائر الأمم:

خصَّ الله تعالى أمّةَ محمّد ﷺ بالفضلِ والتكريم على سائر الأُمَم فقال الله عزّ وجلّ :(هو اجتباكم) (الحج:78)، "أي: يا هذه الأمّة، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم، وفضَّلكم وشرَّفكم وخصَّكم بأكرم رسول وأكمل شرع"[69]، وقال النبي ﷺ مُبيِّنًا فضلَ أمّتِه وأنّها فاقت في خيريَّتها سائرَ الأمم: (إنّكم تُتِمُّون سبعين أمّة، أنتم خيرُها وأكرمُها على الله)[70].

وقد مَدَح الله تعالى أُمّة محمّد ﷺ بأنّها خيرُ الأمَم، وأخبَر عن الأسباب التي تميّزت بها وفاقت بها غيرَها؛ وهي قيامُها بأسُس الدّين، قال الله تعالى: (كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران:110).

ففي الآية "مدحٌ لهذه الأمّة ما أقامُوا ذلك واتَّصَفُوا به، فإذا تركوا التغييرَ وتواطَؤُوا على المنكَر زال عنهم اسمُ المدح ولحِقَهم اسمُ الذّمّ، وكان ذلك سببًا لهلاكِهم"[71].

وثبت في السّنّة ما يدلُّ على تفضيل أمّة محمّد ﷺ على غيرها، وأنّ الأمم تبَعٌ لها يوم القيامة، فعن أبـي هريرة وحذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ : (أضلّ الله عن الجمعة مَن كان قبلنا، فكان لليهود يومُ السبت، وكان للنّصارى يومُ الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعةَ والسبتَ والأحدَ، وكذلك هم تبَـعٌ لنا يوم القيامة، نحن الآخِـرون من أهــل الدّنيا، والأوّلون يومَ القيامة، المقضـــيُّ لهم قبل الخلائق)[72].

ومن تفضيل الله لهذه الأمّة واختيارِه لها أنّه وهَبَها من العلم والحِلم ما لم يَهبْه لأمّة سواها[73]، فعن أبي الدّرداء ﷺ أنّ النبي ﷺ قال : (إنّ الله عزّ وجلّ يقول: يا عيسى، إنّي باعثٌ مِنْ بعدِك أمّة إنْ أصابهم ما يُحِبّون حمِدوا الله وشكَروا، وإنْ أصابهم ما يَكرهون احتسَبوا وصبَروا، ولا حِلْم ولا عِلْم، قال: يا ربِّ كيف هذا لهم ولا حِلْم ولا عِلْم ؟ قال : أُعطيهم مِن حِلْمي وعِلْمي)[74].

ومن تفضيل الله عزّ وجلّ لهذه الأمّة أنّها أكثر أهل الجنّة، وقد كان النبي ﷺ يرجو أن تكون أمّتُه نصفَ أهل الجنّة، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن الرسول ﷺ قال: (والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربُعَ أهل الجنّة)، فكبّرْنا، فقال: (أرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجـنّة)، فكبَّرْنا، فقال: (أرجو أن تكونوا نصــف
أهل الجنّة)، فكبّرْنا[75].

وجاء في حديث آخر أنّ هذه الأمّة تبلغ ثلثي أهل الجنة، فعن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أهل الجنّة عشرون ومائةُ صَفٍّ، ثمانون منها من هذه الأمّة، وأربعون من سائر الأمم)[76].

فإمّا أن يقال: حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أصحُّ، وإمّا أن يقال: إنّ النبي ﷺ طَمِع أن تكون أمّتُه شطرَ أهل الجنّة، فأعْلمَه ربُّه بأنّهم ثمانون صفا من مائة وعشرين صفا، فلا تنافي بين الحديثين[77].

المطلب الثاني : تفاضل قرون أمّة محمد ﷺ: صرّح النبي ﷺ بأفضليّة قرْنه ثمّ قرنين بعدَه على سائر قرون البشر، فعن ابن مسعود ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: (خيرُ النّاس قرني، ثمّ الذين يَلُونَهم، ثمّ الذين يَلُونَهم)[78]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجلٌ النبي ﷺ: أيُّ النّاس خير؟ قال: (القرنُ الذي أنا فيه، ثمّ الثاني، ثمّ الثالث)[79].

وقوله ﷺ: (خير النّاس قرني) عامّ يشمل جميع الآدميين، فأفضلُ قرون الأمم السابقة واللاحقة هو قرنُ النبي ﷺ وأصحابِه، ويزيدُ هذا المعنى وضوحًا حديثُ أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: (بُعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنتُ من القَرْن الذي كنت منه)[80].

والقرْنُ أهلُ كلّ زمان، وهو مقدارُ التوسُّط في أعمار أهل كلّ زمان، مأخوذ من الاقتران، وكأنّه المقدار الذي يقترِن فيه أهلُ ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم[81].

واختلف العلماء في تحديده، والمشهورُ أنّ القرنَ مائةُ عام، والصحيحُ أنّه لا ينضَبِط بمدّة، وأنّ قرنَه ﷺ الصحابة، وكانت مدّتُهم من المبعث إلى آخر مَنْ مات من الصحابة مائةً وعشرين سنة، والثاني قرنُ التابعين من مائة سنة إلى نحو سبعين، والثالث قرنُ أتباع التابعين من ثمّ إلى نحو العشرين ومائتين[82].

قال النّووي: "اتَّفق العلماءُ على أنَّ خيرَ القرون قرنُه ﷺ، والمرادُ أصحابُه"[83]، ونقَل عن القاضي عياض أنَّ شهر بن حوشَب قال : "قرنُه: ما بَقيتْ عينٌ رأتْه، والثاني: ما بقيت عينٌ رأت مَن رآه ، ثمَّ كذلك"[84].

وقال ابن تيمية : "اتَّفقت الرواياتُ على ذِكر الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهم القرون الثلاثة"[85].

وقد ثبت شكُّ الصحابي الرّاوي في القرن الرابع، فعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (خيرُكم قرني، ثمّ الذين يَلُونَهم، ثمّ الذين يَلُونَهم)، قال عمران: لا أدري أذَكَر النبي ﷺ بعدُ قرنين أو ثلاثة[86].

وجاء عن النّعمان بن بشير ﷺ إثباتُ خيريّة القرْن الرّابع من غير شكّ، ولفظه : (خير النّاس قرني، ثمّ الذين يَلُونَهم، ثمّ الذين يَلُونَهم، ثمّ الذين يَلُونَهم)[87].

فالقرونُ الثلاثة الأولى مشهودٌ لأهلها بالخيرية جزمًا، والقرنُ الرابع مختلَفٌ فيه، واعتبر بعضُ أهل الحديث القرونَ المفضّلة أربعةً[88].

ودلّت السُّنّة النّبويّة على تفضيل الزمان السابق على اللاّحق، فعن أنس ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: (لا يأتي عليكم زمانٌ إلاّ والذي بعده أشرُّ منه حتى تَلقَوا ربَّكم)[89]، والمرادُ بتفضيل الزمان السابق على ما بعده تفضيلُ مجموع العصر على مجموع العصر اللاّحق[90]، فيُستفادُ منه تفاضُلُ القرون التي تَلِي القرونَ المفضَّلة، وأنّ كلّ قرنٍ خيرٌ من الذي بعده من حيث الجملة.

المطلب الثالث : المفاضلة بين الذّكر والأنثى:

إنّ الله عزّ وجلّ لم يميِّز بين الذّكر والأنثى في أصل الخلقة والتكريم، ولم يُفرِّق بينهما في أصل التكليف والجزاء، قال الله سبحانه وتعالى: (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) (الأنعام:98)،وقال الله تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم) (الإسراء:70)، وقال الله عزّ وجلّ:(وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون) (الذاريات:56)، وقال تعالى: (فاستجاب لهم ربّهم أنّي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) (آل عمران:195).

ودلّتْ نصوص القرآن والسُّنّة على تفضيل الرّجال على النّساء في الجملة، ومن هذه النّصوص ما يلي:

1 ـ قول الله تعالى: (الرّجال قوّامون على النّساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) (النساء:34).

وجه دلالة الآية على تفضيل الرّجال على النّساء جَعْلُ الولايات مختصّة بهم والنبوّة والرسالة،واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والجُمَع، وتميُّزُهم بزيادة العقل والدّين والشهادة والرّزانة والصبر والجَلَد الذي ليس للنساء مثلُه، وقولُه تعالى: (وبما أنفقوا من أموالهم) يهدي إلى وجه من وجوه تفضيل الرّجال على النّساء،وهو ما خصّهم الله به من النّفقات كالمهر ونفقة الجهاد وما يلزمه في العَقْل والدِّيَة وغير ذلك[91].

2 ـ قال الله تعالى:(ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة) (البقرة:228).

قال البغوي: "قولُه تعالى: (وللرجال عليهنّ درجة)، قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر وأنْفق عليها من المال، وقال قتادة: بالجهاد، وقيل: بالعَقْل، وقيل: بالشهادة، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدّية، وقيل بالطّلاق، لأنّ الطّلاق بيَد الرّجال، وقيل: بالرَّجعة، وقال سفيانُ وزيدُ بن أسلم: بالإمارة، وقال القُتَيبي: معناه فضيلةٌ في الحقّ"[92].

وقال ابن كثير: "(وللرجال عليهنّ درجة) أي في الفضيلة في الخُلُق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة"[93].

3 ـ عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (ما رأيتُ من ناقصات عقْلٍ ودِينٍ أذهبَ لِلُبّ الرّجُل الحازم من إحداكنّ)، قلن: وما نقصانُ ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: (أليس شهادةُ المرأة مثلَ نصف شهادة الرّجل؟)، قلنَ: بلى، قال: (فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تصُم؟)، قلن: بلى، قال: (فذلك من نقصان دينها)[94].

وفي الحديث دليل على أنّ جنس النّساء دون جنس الرجال في العقل وفي الدّين، وبيّن رسولُ الله ﷺ وجهَ ذلك النقص، وهو كونُ شهادة المرأتين تعْدِل شهادةَ الرّجل لنسيانها وقلّة ضبطها ؛ وذلك من نقص العقل، وكونها إذا حاضت لا تُصلّي ولا تصوم؛ وذلك من نقص الدّين[95].

وجديرٌ بالذّكر هنا أنّ المرادَ من تفضيل الذّكور على الإناث تفضيلُ جنس الذّكور على جنس

الإناث، وليس المراد منه تفضيل جميع أفراد الذّكور على جميع أفراد النّساء، أما باعتبار الأفراد فإنّما الأفضليّة للأتقى، كما قال الله تعالى: (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات:13)، فرُبّ أنثى هي أفضل من كثير من الذّكور في دينها وعقلها وعلمها ورأيها.

المبحث الرابع : المفاضلة بين البشر بالنّظر إلى طاعاتهم، ويتضمّن المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر:

ذهب جماعة من أهل العلم إلى أنّ الغنيّ الشاكر أفضل[96]، واستدلّوا بأدلّة، منها :

1 ـ قول الله عزّ وجلّ : (واسألوا الله من فضله) (النساء:32).

وجه الدّلالة أنّ الغِنى فضلٌ من الله ونعمة، ولو كان الفقر أفضلَ من الغِنَى لكان الله تعالى قد أمرنا أن نسأله تبديل الأفضل بالأدنى، وذلك خلاف المعلوم من المعنى[97].

ويُجابُ عن الآية بأنّ الله تعالى أمَر عبادَه أنّ يسألوه ما شاؤوا من الإحسان والإنعام، وفضلُ الله ليس مقصورا على الأغنياء دون الفقراء، فكما يؤتي الأغنياءَ من فضله بالمال، فإنّه يؤتي الفقراء من فضله؛ بأن يُنعِم عليهم بنِعَم كثيرة، ويُقيِّضهم لأعمال الآخرة[98].

2 ـ قول الله سبحانه وتعالى: (ووجدك عائلا فأغنى) (الضّحى:8).

وجه الدّلالة على أنّ الغِنَى أفضل من الفقر أنّ الله تعالى امتنّ على نبيّه ﷺ بالغِنى، ولو كان الفقرُ أفضلَ من الغِنى لكان الله تعالى قد امتنّ عليه ﷺ بأن نقَلَه من الأفضل إلى الأدنى[99].

ويُجاب عن الآية بأنّ الله تعالى امتَنّ على نبيّه ﷺ بأنْ جعله غنيا شاكرًا بعد أن كان فقيرًا صابرًا، فلا تحتجّ به طائفة لحالها إلا كان للطائفة الأخرى أن تحتجّ به أيضا لحالها[100].

3 ـ عن عمرو بن العاص ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: (نِعْمَ المالُ الصالح للمرء الصالح)[101].

وجه الدّلالة أنّ النبي ﷺ رغَّب الرَّجلَ الصالح في كسب المال الطّيّب، لأنّه يُسخِّره فيما ينفع، "ولم يكن ﷺ ليحُضَّ أحدًا على ما يُنقص حظَّه عند الله"[102].

ويُجابُ عن الحديث بأنّ ما امتاز به الغنيّ على الفقير من الإنفاق في الخير والنّفع المتعدّي، فللفقير سبيلٌ إلى لحاقه فيه وله مثلُ أجره، وهو أن يعلم الله من نيّته أنّه لو أُوتي مثلَ الغنيّ لفعل كما يفعل[103]، (يقول: لو أنّ لي مالاً لعمِلتُ بعمَل فلان، فهو بنيّته فأجرهما سواء)[104].

4 ـ عن أبي هريرة ﷺ أنّ فقراء المهاجرين أتَوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهلُ الدُّثور بالدّرجات العُلى، والنّعيم المقيم، فقال: (وما ذاك؟)، قالوا: يُصلّون كما نُصلّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدّقون ولا نتصدّق، ويُعتقون ولا نُعتِق، فقال رسول الله ﷺ: (أفلا أعلِّمكم شيئا تُدرِكون به مَن سبَقَكم، وتسبِقون به مَن بعدَكم؟ ولا يكون أحدٌ أفضلَ منكم إلا من صنَع مثل ما صنعتُم)، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (تُسبِّحون وتُكبِّرون وتحمدون دبُرَ كلّ صلاة ثلاثًا وثلاثين مرّة). قال أبو صالح : فرجَعَ فقراءُ المهاجرين

إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخوانُنا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)[105].

فالفقراء ذكروا للرسول ﷺ ما يقتضي تفضيل الأغنياء بسبب القربات المتعلّقة بالمال، وأقرَّهم النبي ﷺ على ذلك، ولكن علَّمهم ما يقوم مقام تلك الزيادة، فلمّا قالها الأغنياء ساووهم فيها وبقي معهم رُجحانُ قربات الأمـــوال، فقال ﷺ: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)، وظاهره أنّه فضـــل الأغنـــياء بزيادة القربات المالية[106].

وأُجيب عنه بأن لا حجّة فيه على تفضيل الغِنى، لأنّ الأغنياء ساووا الفقراء في أعمالهم المفروضة والنّافلة وزادوا عليهم بنوافل العتق والصدقة، فهُم سواءٌ في صبرهم وزاد عليهم الأغنياءُ بالشكر بنوافل المال، ولو كان للفقراء بصبرهم نوافل تزيد على نوافل الأغنياء لفَضَلُوهم بها[107].

وذهب بعض أهل العلم إلى أنّ الفقير الصابر أفضل[108]، ومن أبرز ما احتجّوا به :

1 ــ قول الله تعالى: ﴿إنّما يُوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (الزمر:10).

وجه الدّلالة من الآية أنّ الله تعالى وعَد الصابرين ثوابًا بغير حدّ ولا عدّ ولا مقدار، والصبرُ مع الفقر والحاجة أكثر منه مع الغِنى.

وأُجيبَ عن الآية بأنّها تتناول صبرَ الشاكر على طاعته وصبرَه عن مصيبته وصبر المبتلى بالفقر وغيره على بلائه، ولا شكّ أنّ الأغنياء الشاكرين يصبرون على الإيسار، ومخالفة الهوى، والأجور في الأعمال على قدر النيّات فيها، ومقدار النيّات لا يعلمها إلا المجازي عليها[109].

2 ــ حديث : (اللّهمّ أحيني مسكيناً، وأمِتني مسكيناً، واحشُرني في زمرة المساكين يوم القيامة)، فقالت عائشة: لمَ يا رسول الله؟ قال: (إنّهم يدخلون الجنّة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً، يا عائشة : لا تَرُدّي المسكين ولو بشقّ تمرة، يا عائشة : أحبي المساكين وقرِّبيهم، فإنَّ الله يقرِّبك يوم القيامة)[110].

وجه الدّلالة أنّ النبي ﷺ سأل الله تعالى المسكنة في حياته ووفاته، فلولا أنّها أعلى منزلة من الغِنى لم يسألها، وأخبر ﷺ بدخول الفقراء الجنّة قبل الأغنياء، وليس هذا إلا لفضيلتهم على الأغنياء، إذ لو لم يكن كذلك لم يستحقّوا السَّبق[111].

وأُجيب عنه بأن لا دلالة فيه على فضل الفقر، "ومعنى المسكنة ها هنا التواضعُ والإخباتُ، وإنّما سأل الله أن لا يجعله من الجبّارين المتكبّرين، وأن لا يحشُره في زُمرتهم"[112]، وأمّا تقدُّم الفقراء في دخول الجنّة فلا يلزم منه أن تكون درجتُهم أعلى ولا مُساويةً، بل رُبّما يكون الأغنياء أرفع منزلةً ممن سبقهم إلى الدّخول وإن تأخّروا لأجل الحساب، ومَنْ كانت حسناتُه أرجحَ كانت درجتُه في الجنّة أعلى[113].

3 ــ عن أبي برزة الأسلمي ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: (لا تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن عِلْمه فيم فَعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[114].

وجه الدّلالة على أفضليّة الفقر أنّ الفقير أسلمُ عاقبةً في الدّار الآخرة، لأنّه أيسرُ حساباً، وأقلُّ سؤالاً: من أين اكتسبتَ؟ وفيمَ أنفقتَ؟ ولا ينبغي أن يُعدَل بالسلامة شيء.

وأُجيب عنه بأنّ العبرة ليست بكثرة السؤال أو قلّته، وإنّما بنتيجة الحساب، لأنّ السؤال يقع نَعيماً لقوم وعذاباً لآخرين، فالمحسِنُ يُجيب بحسناته فيُؤجر على ما عمل من الواجب كما يُؤجر على ما عمل من التطوّع، والمسيءُ يُجيبُ بفعله القبيح وتصرُّفه الدّنيء فيتعذّبُ بجوابه، وعليه فالغنيّ الشاكر لا يضُرُّه السؤالُ، بل ينفعه، فهو أفضلُ ممن لم يَجِب عليه شيء ولا يُسأل عنه[115].

4 ـ عن عمران بن حصين ﷺ عن النبي ﷺ قال: (اطَّلَعْتُ في الجنّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء)[116].

وجه الدّلالة على تفضيل الفقراء أنّهم بعيدون عن شهوات الدّنيا المحرَّمة، فكانوا أكثر أهل الجنّة، خلافًا للأغنياء الملابسين للدّنيا وملذّاتها الآثمة.

وأجيب عنه بأنّ الفقراء في الدّنيا أكثرُ من الأغنياء، والمحمودون منهم أكثر من المحمودين من الأغنياء، فهم أكثر في الجنة، ولا يَلزم من ذلك علوُّ الدرجة، لأنّ الكلام ليس في أي الطائفتين أكثر، وإنما هو في أيّهما أفضل أي أكثر ثوابا[117].

والمتأمّل فيما ذُكِر يظهر له تكافؤ أدلّة الطائفتين، فإنّ كلا منهما أدلت بحجج يمكن توجيهُها والإجابة عنها، فيُقال: "من كان يؤدّي حقّ الله الواجبَ عليه في الفقر، ولا يؤدِّي حقَّه الواجبَ عليه في الغِنى، فلا اختلاف في أنّ الفقر أفضل له من الغنى، ومن كان يؤدّي حقّ الله الواجبَ في الغِنى، ولا يؤدّي حقَّه الواجبَ عليه في الفقر، فلا اختلاف في أن الغِنى أفضل له"[118]، فإن كانا يقومان بحقوق الله تعالى، فيؤدِّي الغنيّ الواجبات، ويتطوّع بالمندوبات، ويشكر لله، ولا يطغى بالمال، والفقير يصبر على الفقر، ولا يتشوّف للزيادة، ويبأس ممّا في أيدي الناس، فلا يصحّ أن يقال: هذا بغناه أفضل، ولا هذا بفقره أفضل، ولا يصحّ أن يُقال: هذا بالشُّكر أفضل من هذا بالصّبر، ولا بالعكس، لأنّهما مطيّتان للإيمان لا بدّ منهما، بل الصواب هو القول بأفضليّة أتقاهما لله[119]، لقول الله تعالى: (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات:13)، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، مَنْ أكرمُ النّاس ؟ قال: (أتقاهم)[120].

المطلب الثاني: المفاضلة بين المطيع الذي لم يعص والعاصي التّائب[121]: اختلفوا فيمن عَمِل ذنوبًا وتاب منها، ومَنْ لم يعملها أصلاً أيّهما أفضل؟

القول الأوّل : العبدُ التائب توبةً نصوحًا أفضل، ومن أقوى ما يحتجّ به لهذا القول:

1 ـ أنّ عبودية التّوبة من أحبّ العبوديات إلى الله تعالى، وبها ينالُ العبدُ درجة المحبوبية، فيصير حبيبًا لله القائل: (إنّ الله يُحبّ التّوّابين ويُحبّ المتطهّرين) (البقرة:222)، كما أنّ الله سبحانه يفرح بتوبة عبده أعظم فرح، لقوله ﷺ: (لله أفرحُ بتوبة عبده من رجُل نزَلَ منزِلاً وبه مَهْلَكةٌ، ومعه راحلتُه عليها طعامُه وشرابُه، فوضع رأسه فنام نومةً، فاستيقظ وقد ذهبتْ راحلتُه، حتى إذا اشتدّ عليه الحرُّ والعطشُ أو ما شاء الله قال: أرجعُ إلى مكاني، فرجع فنام نومةً، ثمّ رفع رأسَه فإذا راحلتُه عنده)[122]، ولم يجئ هذا الفرحُ في شيء من الطاعات سوى التّوبة.

2 ـ أنّ العبد التّائب يمتاز عن المطيع الذي لم يُذنِب بعبودية الذُّلّ والانكسار، وهما روح العبودية ولُبّها، فالتّائبُ كلّما ذَكَر ذنبَه خاف أن يُرديه فجوَّد عملَه ليَلقى الله محسناً، فتترتّب على معصيته طاعاتٌ أحبُّ

إلى الله من عصمته من ذلك الذّنب، فيكون بذلك أعلى درجةً ممّن لم يقترف إثما، ولذلك قيل: رُبَّ معصية أورثتْ ذُلا وافتقارًا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارًا.

وقد يعمل المطيعُ الحسنةَ فلا تزال نُصبَ عينيه، كلّما ذكرَها أورثتْه عُجبًا وكبْرًا، فتكون سببَ هلاكه، ولذلك قال النبي ﷺ: (لو لم تكونوا تُذنبون خَشيتُ عليكم ما هو أكبرُ من ذلك العُجبَ العُجبَ)[123].

3 ـ قول الله تعالى: (إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا فأولئك يُبدّل الله سيئاتهم حسنات) (الفرقان:70)، فالتوبة تجُبُّ الذّنب بالكلّيّة وتُصيِّره كأنّه لم يكن، وبها تُبدَّل كلُّ سيّئة بندمه عليها حسنةً، وهذا من أعظم البشارة للتّائبين إذا اقترَن بتوبتهم إيمانٌ وعمَلٌ صالح.

القول الثاني : المطيعُ الذي لم يعصِ أفضل، واحتجّوا بما يأتي :

1 ـ أنّ المطيع لم يتدنّس بالمعاصي بخلاف العاصي التّائب، ومن المعلوم أنّ أكملَ الخلْق وأفضلَهم أطوعُهم لله؛ أي: أكثرهم امتثالا للأوامر، واجتنابا للمنهيات، لقول الله عزّ وجلّ: (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات:13)، وهذا الذي لم يعص أطوع فيكون أفضلَ.

2 ـ أنّ العاصي يصير بالذّنب في نزول، فيسبقه المطيعُ الذي هو في صعود عدّةَ مراحلَ إلى فوق، فإذَا تَابَ المذنبُ وجَدَ المطيعَ قد كسب في تلك المدّة حسناتٍ كثيرة، فاستقبَل سيْرَه ليلحَقَه، فكان لا يكسب شيئا إلا كسب الآخَرُ نظيره، فأنّى له بلَحاقه ؟.

3 ـ أنّ الله يمقُتُ على معاصيه ومخالفة أوامره، ففي مدّة اشتغال هذا بالذنوب كان حظُّه المقتَ، وحظُّ المطيع الرّضا، فالله لم يزَل عنه راضيًا، ولا ريب أنّ هذا خيرٌ ممّن كان الله راضيًا عنه ثمّ مقَته، ثمّ رضِي عنه، فإنّ الرّضى المستمرّ خيرٌ من الذي تخلّله المقتُ.

ومَنْ أنعم النّظر في أدلّة الطّائفتين يظهر له رجحانُ أدلّة القائلين بأفضليّة المطيع الذي لم يعص على العاصي التّائب، ويُجاب عن أدلّة مخالفيهم بما يأتي :

ـ نيلُ التّائب درجة المحبوبية لا يعني انفرادَه بها وسبْقَه إليها، فالمطيعُ الذي لم يُذنِب مُتَّقٍ ترَك الذّنوبَ كبارَها وصغارَها فاستحَقَّ محبّة الله ونال معيّته وظفر بولايته، لقوله عزّ وجلّ: (إنّ الله يُحبّ المتّقين) (التوبة:4)، وقوله سبحانه: (إنْ أولياؤه إلاّ المتّقون) (الأنفال:34)، وقوله تعالى: (واتّقوا الله واعلموا أنّ الله مع المتّقين) (البقرة:194)، ولا شكّ أنّ محبّة الله ومعيّته وولايته درجاتٌ عاليةٌ لا يصل إليها إلاّ صفوةُ عباد الله. والمطيعُ الذي لم يجترح السيّئات أصلاً مُحسِنٌ أيضًا؛ لأنّه استشعر مراقبةَ الله عزّ وجلّ فعبَد الله كأنّه يراه، وصار بإحسانه حبيبًا لله القائل: (إنّ الله يُحبّ المحسنين) (البقرة:195) .

ـ لئن كان التّائب متّصفًا بعبودية الذُّلّ والانكسار؛ وهما روح العبودية ولُبّها، فإنّ المطيع الذي لم يُذنب متّصفٌ بخلُق الإحسان الذي "فيه لبُّ الإيمان وروحه وكماله"[124].

ـ الاستدلال بالآية التي فيها تبديلُ سيّئات التّائبين حسناتٍ محلُّ نظر، فقد قال ابن عباس وأصحابه في معنى الآية: يُبدّلهم الله بقبيح أعمالهم في الشرك محاسنَ الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيماناً

وبقتل المؤمنين قتلَ المشركين، وبالزّنا عفّةً وإحصاناً، وبالكذب صدقًا، وبالخيانة أمانةً.

فعلى هذا معنى الآية أن صفاتهم القبيحة، وأعمالهم السيئة، بُدّلوا عوضـــها صفات جميلة، وأعمالا صالحة في الدّنيا[125]، وليس معناها أن يُبدّل الله سيئاتهم التي عملوها في حال إسلامهم حسنات يوم القيامة، فإنّ السيّئة لا تنقلب حسنة، بل غايتها أن تمحى وتُكفّر ويبطل أثرها، فإنها لم تكن طاعة، وإنما كانت بغيضة مكروهة للرب فكيف تنقلب محبوبة مرضية.

وقد دلّ القرآن على أنّ غاية السيئات مغفرتُها وتجاوزُ الله عنها، كقوله تعالى: (إنّ الله يغفر الذنوب جميعًا إنّه هو الغفور الرحيم) (الزمر:53)، وقوله تعالى:(ويعفو عن السيئات) (الشورى:25)، ولو انقلبت السيّئاتُ أنفسها حسنات في حقّ التائب لكان أحسن حالاً من الذي لم يرتكب منها شيئاً وأكثر حسنات منه، وكيف يكون صاحب السيئات أرجح ممن لا سيئته له؟[126].

الـخـــاتـمـة

أُوردُ في ختام هذا البحث أهمّ النتائج التي توصّلت إليها :

1 ــ يُظهِر البحثُ بُطلانَ قول الذين فضّلوا أئمتهم على الأنبياء، والذين زعموا أن الولي أفضل من النبي، فالأنبياء أفضل من هؤلاء وأولئك، ويتّضح من مسائل المفاضلة المعروضة إثباتُ التفاضل في الإيمان، وتباين المؤمنين في درجاته، خلافًا للطائفة التي اعتقدت التسوية بين إيمان الأنبياء وإيمان الفسّاق.

2 ــ خيرُ البريّة بعد الرُّسل والأنبياء صحابةُ الرسول ﷺ خلافًا لمن طعن في طائفة منهم،وأفضلُهم الخلفاءُ الأربعة، ثمّ بقيّةُ العشرة المشهود لهم بالجنّة، ثمّ البدريّون، ثم أهل غزوة أحُد، ثم أهل بيعة الرضوان.

3 ــ إناثُ هذه الأمّة متفاضلات، وخيرُهنّ زوجاتُ النبي ﷺ وابنتُه فاطمة، وأعظمهنّ مكانة خديجةُ وعائشةُ وفاطمةُ رضي الله عنهنّ، والقولُ بالتفصيل في ترتيب الثلاثة هو الذي يقتضيه الجمعُ بين الأدلّة.

4 ــ فُضِّلت أمّة محمّد ﷺ على سائر الأمم بأكرم رسول وأكمل شرع، ووهَبَها الله تعالى من العلم والحِلم ما لم يَهبْه لأمّة سواها، وجعَلَها أكثرَ أهل الجنّة، وجعل الأممَ تابِعةً لها يوم القيامة.

5 ــ أفضلُ قرون الأمم السابقة واللاحقة هو قرنُ النبي ﷺ وأصحابِه، ثمّ قرنُ التابعين، ثمّ قرنُ أتباع التابعين، والقرن هو المقدار الذي يقترِن فيه أهلُ ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم.

6 ــ الذَّكَرُ والأنثى سواءٌ في أصل الخِلقة والتكريم، وأصل التكليف والجزاء، وفُضِّل جنسُ الذّكور على جنس الإناث بكونهم خُصُّوا بالنُّبوّة والرّسالة وزيادة العقل والدّين وغيرها ممّا ليس للنساء مثلُه.

7 ــ اختلف أهل العلم في المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر إن كانا يقومان بحقوق الله في الحالتين، والصواب تفضيلُ أتقاهما لله عزّ وجلّ.

8 ــ المطيع الذي لم يتدنّس بالمعاصي أفضلُ من العاصي التّائب، لأنّ الذي لم يعصِ أطوعُ لله تعالى بامتثال الأوامر، واجتناب المنهيات.

9 ـ لا يجوز لأحدٍ أن يُفضّل مسلمًا على غيره إلاّ بنصّ شرعي؛ لأنّ القول بالأفضليّة يعني كون الفاضل أكثر ثوابًا وأعظمَ منزلةً عند الله عزّ وجلّ، ومعرفة ذلك تفتقر إلى النّصوص.

10 ـ المفاضلةُ بين البشر تقع بين الأفراد وبين الجماعات وكذلك الأمم، ولا تستلزم نقصَ المفضول، بل تكون أيضًا بين الأخيار والفضلاء كالرّسل والأنبياء وغيرهم.

11 ـ بعض مسائل المفاضلة تكافأت فيها أدلّة المتنازِعين، والقولُ بالتفصيل يجمع صاحبُه بين الأدلّة ويسلم من أغلب الاعتراضات.

الهوامش

1- أخرجه مسلم (337/16 : 6489).

2- أخرجه البخاري (387/6 : 3353)، ومسلم (132/15 : 6111).

3- انظر: مجموع الفتاوى (221/11-223) لابن تيمية.

4- انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص263) لابن سعدي.

5- انظر: مجموع الفتاوى (221/11).

6- أخرجه عبد بن حميد في "مسنده" (ص101 ورقمه: 212 المنتخب).

7- أخرجه الترمذي (610/5 ورقمه: 3664) عن أنس ﷺ، و(611/5 ورقمه: 3665) عن عليّ ﷺ.

8- انظر: مجموع الفتاوى (365/11).

9- منهاج السنّة النّبويّة (417/2).

10- مجموع الفتاوى (221/11).

11- أخرجه مسلم (8/5 ورقمه: 1167).

12- الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى (227/1-228).

13- تفسير القرآن العظيم (87/5-88).

14- أخرجه مسلم (39/15 ورقمه: 5899).

15- أخرجه الترمذي (587/5 ورقمه: 3615).

16- أخرجه البخاري (450/6 ورقمه: 3414)، ومسلم (127/15 ورقمه: 6102).

17- أخرجه البخاري (428/6 ورقمه: 3395)، ومسلم (132/15 ورقمه: 6110).

18- انظر:تفسير القرآن العظيم (671/1)،شرح العقيدة الطحاوية (159/1) لابن أبي العز،فتح الباري (446/6) لابن حجر.

19- انظر:الكفاية في علم الرواية (ص46) للخطيب البغدادي،الإصابة في الذب عن الصحابة (ص37-39) لمازن بن محمد.

20- أخرجه الترمذي (226/5 ورقمه: 3001)، وابن ماجه (1433/2 ورقمه: 4288).

21- أخرجه مسلم (305/16 ورقمه: 6425).

22- أخرجه البخاري (3/7 ورقمه: 3651)، ومسلم (302/16 ورقمه: 6419).

23- شرح صحيح مسلم (302/16) للنّووي.

24- انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (1057/10).

25- شرح صحيح مسلم (144/15).

26- أخرجه البخاري (20/7 ورقمه: 3671).

27- أخرجه البخاري (16/7 ورقمه: 3655).
28- أخرجه أبو داود (31/7 ورقمه: 4628).
29- انظر: معالم السنن (302/4) للخطابي، الاستيعاب (1117/3-1118) لابن عبد البر، شرح صحيح مسلم (144/15).
30- أخرجه البخاري (78/9 ورقمه: 7207).
31- الفتاوى الكبرى (445/4).
32- فتح الباري (34/7).
33- أخرجه أحمد (209/3 ورقمه: 1675)، والترمذي (647/5 ورقمه: 3747).
34- أخرجه البخاري (311/7 ورقمه: 3992).
35- أخرجه البخاري (304/7 ورقمه: 3983)، ومسلم (272/16 ورقمه: 6351).
36- أخرجه أحمد (322/13 ورقمه: 7940).
37- ذكر هذا الترتيب في الفضل ابنُ الصلاح في "معرفة أنواع علوم الحديث" (ص146)، والنّووي كما في "تدريب الرّاوي" (244/2)،وذهب السفاريني إلى تقديم أهل بيعة الرضوان على أهل أحد بعد أهل بدر،لأنّ الله تعالى وصَف أهل أُحُد بالعفو في القرآن، ووَصف أهل بيعة الرضوان بالرّضى،والرّضى أعلى وأسنى وأفضل من العفو.انظر: لوامع الأنوار البهيّة (372/2).
38- أخرجه مسلم (275/16 ورقمه: 6354).
39- أخرجه البخاري (443/7 ورقمه: 4154)، ومسلم (6/13 ورقمه: 4788).
40- انظر: مجموع الفتاوى (394/4).
41- منهم القاضي والمتولّي وابن العربي. انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (38/1) للعيني.
42- أخرجه البخاري (133/7 ورقمه: 3815)، ومسلم (193/15 ورقمه: 6221).
43- فتح الباري (471/6).
44- انظر: شرح صحيح مسلم (194/15)، فتح الباري (135/7).
45- انظر: فتح الباري (135/7).
46- أخرجه أحمد (356/41 ورقمه: 24864).
47- انظر: البداية والنهاية (321/4) لابن كثير.
48- منهاج السنّة النّبويّة (303/4-304).
49- أخرجه البخاري (133/7 ورقمه: 3820)، ومسلم (195/15 ورقمه: 6223).
50- انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (250/16)، فتح الباري (107/7).
51- أخرجه البخاري (106/7 ورقمه: 3768)، ومسلم (208/15 ورقمه: 6254).

52- منهاج السنّة النّبويّة (301/4و304-305).

53- الثَّريدُ : هو أن يُثْرَدَ الخبزُ بمرَق اللَّحم، وقد يكون معه اللّحمُ، فالثّريد مركَّب من لحم وخبز، واللّحم سيّد الآدام، والخبز سيّد الأقوات، فإذا اجتمعا لم يكن بعدهما غاية. انظر : زاد المعاد (271/4) لابن القيم، فتح الباري (551/9).

54- أخرجه البخاري (446/6 ورقمه: 3411)، ومسلم (194/15 ورقمه: 6222).

55- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3993/9) للقاري.

56- فتح الباري (447/6).

57- انظر: فتح الباري (107/7).

58- أخرجه أحمد (409/4 ورقمه: 2668).

59- أخرجه البخاري (18/7 ورقمه: 3662)، ومسلم (149/15 ورقمه: 6127).

60- انظر : سير أعلام النّبلاء (142/2).

61- أخرجه البخاري (628/6 ورقمه: 3624)، ومسلم (225/16 ورقمه: 6224).

62- انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3964/9).

63- أخرجه الترمذي (703/5 ورقمه: 3878).

64- انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3994/9).

65- قضاء الأرب في أسئلة حلب (ص235).

66- البداية والنهاية (322/4).

67- بدائع الفوائد (361/3-362).

68- المرجع السابق (162/3-163).

69- تفسير القرآن العظيم (455/5) لابن كثير.

70- سبق تخريجه.

71- الجامع لأحكام القرآن (173/4) للقرطبي.

72- أخرجه مسلم (382/6 ورقمه: 1979).

73- زاد المعاد في هدي خير العباد (46/1).

74- أخرجه أحمد (529/45 ورقمه: 27545).

75- أخرجه البخاري (382/6 ورقمه: 3348)، ومسلم (91/3 ورقمه: 531).

76- أخرجه أحمد (23/38 ورقمه: 22940)، والترمذي (683/4 ورقمه: 2546).

77 -انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (46/1).

78- سبق تخريجه.

79- سبق تخريجه.
80- أخرجه البخاري (566/6 ورقمه: 3557).
81- النهاية في غريب الحديث والأثر (51/4) لابن الأثير.
82- انظر: شرح صحيح مسلم (302/16)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3878/9)، فتح الباري (5/7).
83- شرح صحيح مسلم (301/16).
84- انظر: شرح صحيح مسلم (301/16-302).
85- منهاج السنّة النّبويّة (384/8).
86- أخرجه البخاري (258/5 ورقمه: 2651)، ومسلم (304/16 ورقمه: 6422).
87- أخرجه أحمد (388/30 ورقمه: 18447).
88- انظر: مجموع الفتاوى (295/20).
89- أخرجه البخاري (19/13 ورقمه: 7068).
90- انظر: فتح الباري (21/13).
91- انظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن (105/3) لصدّيق حسن خان، تيسير الكريم الرحمن (ص177).
92- معالم التنزيل في تفسير القرآن (302/1) للبغوي.
93- تفسير القرآن العظيم (610/1).
94- أخرجه البخاري (405/1 ورقمه: 304).
95- انظر: شرح صحيح مسلم (255/2)، فتح الباري (406/1).
96- نسبه ابن جزيّ في "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية" (ص643) إلى أكثر الفقهاء.
97-انظر: المقدّمات الممهّدات (403/3) لابن رشد.
98- انظر:عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين(ص257) لابن القيّم،التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج(44/5) للزحيلي
99- انظر: المقدّمات الممهّدات (403/3).
100- انظر: عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص156).
101- أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (112/1 ورقمه: 299)، وأحمد (298/29 ورقمه: 17763).
102- شرح صحيح البخاري (170/10) لابن بطّال.
103- انظر: عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص248).
104- أخرجه أحمد (561/29 ورقمه: 18031)، والترمذي (563/4 ورقمه: 2325).
105- أخرجه البخاري (325/2 ورقمه: 843)، ومسلم (95/5 ورقمه: 1346).

106- انظر: إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام (94/2) لابن دقيق.
107- انظر: عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص153).
108- هو رواية عن أحمد كما في "مجموع الفتاوى" (122/11).
109- انظر: المقدّمات الممهّدات (405/3)، الذخيرة (333/13) للقرافي، عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص176).
110- أخرجه الترمذي (577/4 ورقمه:2352) عن أنس،وابن ماجه (1381/2 ورقمه:4126)،وعبد بن حميد في "مسنده" (ص308 ورقمه:1002 المنتخب) عن أبي سعيد الخدري.
111- انظر: كتاب التمام لما صحّ في الروايتين والثلاث والأربع عن الإمام (303/2) لابن الفرّاء الحنبلي.
112- شأن الدّعاء (ص194-195) للخطّابي.
113- انظر: الذخيرة (333/13)، مجموع الفتاوى (21/11)، عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص153و159).
114- أخرجه الترمذي (612/4 ورقمه: 2417).
115- انظر: المقدّمات الممهّدات (406/3)، الذخيرة (333/13).
116- أخرجه البخاري (318/6 ورقمه: 3241).
117- انظر: المقدّمات الممهّدات (406/3)، الذخيرة (333/13).
118- المقدّمات الممهّدات (402/3)، وانظر: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية (ص 643).
119- انظر: مجموع الفتاوى (120/11و123)، عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص 152-153).
120- سبق تخريجه.
121- انظر: مدارج السالكين (304/1-312) لابن القيم، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1637/4)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (72/8-73) للمباركفوري.
122- أخرجه البخاري (102/11 ورقمه: 6308)، ومسلم (64/17 ورقمه: 6890).
123- أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (399/9 ورقمه: 6868).
124- مدارج السالكين (479/2).
125- انظر:جامع البيان في تأويل القرآن (310/19-312) للطبري،مدارج السالكين (310/1)،طريق الهجرتين وباب السعادتين (245/1) لابن القيم.
126- انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (246/1).